



جامعة المنصورة
كلية التربية

المعالم المعمارية لمدينة القدس فى المخطوطات الأوروبية المصورة فى العصور الوسطى

إعداد

د. عبد الله مشارى النفيسى

أستاذ مشارك

قسم التصميم الداخلى - كلية التربية الأساسية

المعالم المعمارية لمدينة القدس في المخطوطات الأوروبية المصورة

في العصور الوسطى

د. عبد الله مشاري النفيسي

مقدمة :

تعتبر مدينة القدس المدينة المقدسة للديانات السماوية حيث تتميز بخصوصيتها التاريخية والدينية والثقافية على مر العصور التاريخية . كما تشكل هاجسا لدى الشعوب العربية والإسلامية في تحقيق الاستقرار والأمان يسودان هذه المدينة وتحاشيا للمؤثرات والأحداث السياسية والعقائدية .

فقد كانت مدينة القدس بمثابة مركز إلتقاء وإندماج الفنون الأوروبية في فترة العصور الأوروبية وبلغت معها الفنون الأصلية القديمة لمدينة القدس مثل الطراز المعماري والفني الهيليني والروماني والبيزنطي والأسلامي . كما أن المخطوطات المصورة التي ظهرت في فترة العصور الوسطى الأوروبية لاتعبر عن حقيقة المعالم المعمارية للمدينة . وقد ظهرت في الآونة الأخيرة إدعاءات باطلة من محاولات اليهود لأن ينسبوا التراث الفني والمعماري لمدينة القدس الي تراثهم القومي , كما ظهرت محاولات مماثلة أخرى صدرت من الغرب بأن تنسب الفنون المعمارية والتراث الفني للمدينة الي ما يطلق عليه (الفن الصليبي - Crusader Art) وهي محاولات يائسة لسلب تاريخ المدينة وتجريده من التراث الإسلامي والعربي وطمس معالم المدينة العربية :

وقد حان الوقت وسط هذا الزخم الذي يحاصر العرب والمسلمين من محاولات الإجهاض لتراثهم الفني والمعماري والتاريخي والديني والثقافي أن تنطلق حركة مضادة تتخذ الخطوات العملية والعلمية لمواجهة تلك التحديات وذلك من خلال الوسائل والأساليب الحضارية من حيث التخطيط والتنسيق مع الأطراف التي تتعامل مع الأحداث بموضوعية وعقلانية وفق المبادئ والنظم الأكاديمية والعلمية لكي يتم توثيق التاريخ المعماري والفني لمدينة القدس دون المساس وفقدان الحقوق الحضارية لكل ديانة ولكل ثقافة عاصرت تاريخ المدينة خلال العصور .

ويطرح الباحث هذه الفكرة كخطوة علي طريق المراجعات التاريخية لعمارة المدينة من خلال محتويات المخطوطات المصورة في العصور الوسطى الأوروبية .

مشكلة البحث :

لقد واجهت مدينة القدس عبر العصور التاريخية متغيرات عديدة من سلسلة متعاقبة من الحضارات مثل الحضارة البابلية والرومانية والبيزنطية والعربية

والعثمانية . وعند البحث عن تاريخ المعالم المعمارية التاريخية لمدينة القدس نجد كما كبيرا من المخطوطات المصورة

(Illuminated Manuscripts) وبشكل خاص في فترة العصور الوسطى الأوروبية حيث تكدست العديد من المعلومات وأشكال التي تتعلق بتاريخ المدينة من حيث معالمها ومحتوياتها المعمارية , كما تعددت الدراسات والأبحاث التاريخية والأثرية عن تاريخ عمارة المدينة وأختلفت في إطروحاتها عن تاريخها , الأمر الذي جعل الباحث يراجع ويحقق بدقة لتلك المحتويات إلى أن تبلورت عدة تساؤلات حول تاريخ ونشأة عمارة مدينة القدس عبر العصور التاريخية المختلفة نظرا لأن هناك إختلاف وتنوع ظاهر في مظاهرها ومعالمها المعمارية من حيث الطرز المعمارية المستخدة حيث يتضح الإختلاف وعدم وضوح في الهوية المعمارية للمدينة وذلك من خلال إختلاف المصادر المختلفة والعديدة التي تناولت التاريخ المعماري والفني للمدينة , وإختلاف الآراء التي طرحها العلماء والباحثين في حقول مختلفة من المعارف مثل التاريخ والجغرافيا والآثار والعمارة والفنون والآداب والمخطوطات وغيرهم .

وتعتبر المخطوطات المصورة الأوروبية والتي صدرت في فترة العصور الوسطى الأوروبية من أهم المصادر والوثائق العلمية والتاريخية التي يعتد بها في معرفة المظاهر المعمارية وتحديد معالم هوية مدينة القدس وعلي وجه التحديد إبان فترة الحروب الصليبية وإن أغلب المؤلفات التي صدرت عن الرحالة العرب لم تكن كافية لتحديد المعالم المعمارية للمدينة .

إلا أنه من خلال البحث والتحقيق في العديد من المخطوطات المصورة التي تناولت في موضوعاتها لمدينة القدس وجدنا العديد من الأخطاء والغموض والملاحظات في الأشكال التي احتوتها تلك المخطوطات للمعالم المعمارية للمدينة الأمر الذي أثار إهتمام الباحث في طرح تساؤله : كيف كانت المعالم المعمارية لمدينة القدس في فترة العصور الوسطى الأوروبية ؟

ولم ينفرد الباحث بهذا التساؤل بل أثيرت تساؤلات من العديد من كبار المؤرخين في تاريخ العمارة الإسلامية مثل Oleg Grabar وهو يعتبر من أشد المتحمسين والمهتمين بدراسة وتوثيق العمارة العربية والإسلامية وله العديد من المؤلفات عن تتعلق بالتاريخ المعماري لمدينة القدس فهو يري : " أنه لا توجد علي الإطلاق دراسة كاملة عن آثار مدينة القدس الإسلامية وإنما أغلبها دراسات وتحقيقات أثرية قام بها العالم الأثري Max van Bercham وكذلك ماصدر في كتاب مجير الدين " كما يري : " أن معظم التحقيقات التاريخية والعلمية تبحت في العلاقة الجغرافية لمدينة القدس من حيث تحديد موقعها وإنما المدينة لها تاريخ طويل ومعقد منذ القرن ١٨ ق . م حتي العصر الحديث " (١٢) ويطرح Billing تساؤله : " هل هناك شيء جديد عن الصليبيين ؟

ويطلب المعذرة من القارئ علي طرحه لهذا التساؤل عن موضوع إمتلئت به المكتبات بالكثير من الكتب والمؤلفات ولكن كل جيل من الباحثين عن موضوع الصليبيين يبحثون إلي أبعد من ذلك وقد مضت خمسون عاما كتب بها العديد من المؤرخين عن معارك المسيحيين الفائقة في مدينة القدس والتي إنتهت بهزائمهم وطردهم في الربع الأول من القرن الرابع عشر الميلادي ولكن الجيل الجديد من الباحثين يعملون علي دراسة الوثائق السابقة التي لم تقرأ بعد , ومع توفر معلومات حديثة لنتائج التنقيب والحفريات الأثرية في المواقع المختلفة في مدينة القدس والمناطق المحيطة بها فلا شك أن هذه المعلومات سوف تزيد من إدراكنا وفهمنا عن العالم الصليبي "

ويشيد Billing " بدور المؤلفات التي خلفها الرحالة العرب والدراسات الحديثة للباحثين العرب عن موضوع الصليبيين ودورهم في تاريخ مدينة القدس فقد عبروا عن المنظور الإسلامي في هذا الشأن والذي كان مغيبا عن الغرب والذي لعب دورا هاما لدي الكتاب الغربيين لمعرفة وإكتشاف المفهوم الإسلامي للحروب الصليبية " (٤) كما يعرض Boas آراء تتسم بالدقة والعناية الفائقة والحيادية عندما ذكر : " أن مدينة القدس ليست كمثل أي مدينة عادية موجودة في عالمنا فهي مدينة تاريخية لها خصوصيتها وانه لحسن الحظ أن طبيعة البحث التاريخي والأثري للمدينة أنه أخذ بالإتساع نظرا لما تتمخض عنه العديد من أعمال التنقيب والحفريات الأثرية في المدينة والتي يتم الكشف عنها بين الحين والآخر كما يشير إلي أن هناك فجوات عديدة في تاريخ المدينة وأمور كثيرة مفقودة في تاريخها , ويعترض علي المحاولات التي يلجأ إليها الكتاب عند دراستهم لتاريخ مدينة القدس بأن يختزلوا ويضغطوا تاريخ المدينة الكبير في كتاب واحد صغير وذلك لفقدان المصادر الموثوقة والدقيقة لتاريخ المدينة " (٥)

خطة ومنهجية البحث :

إستخدم الباحث دراسة المناهج التالية في البحث :

- المنهج التاريخي .
- المنهج التحليلي .
- المنهج النظري .
- المنهج الإستقرائي .
- المنهج الوصفي .

وذلك من خلال مايلي :

أولا : دراسة وتحليل كتب الرحالة الغربيين والتي صدرت في فترة العصور الأوروبية والتي تناولت تاريخ المعلم المعمارية لمدينة القدس .

ثانيا : دراسة وتحليل الدراسات والتقارير الأثرية لمدينة القدس في مجال العمارة والحفريات التاريخية للمدينة .

ثالثا : دراسة وتحليل المخطوطات الأوروبية المصورة (Illuminated Manuscripts) والتي صدرت في فترة العصور الوسطي الأوروبية .

رابعا : دراسة وتحليل العمال الفنية والتصاوير لفناني العصور الوسطي والذين تناولت أعمالهم المعالم المعمارية لمدينة القدس .

خامسا : دراسة وتحليل المؤلفات الحديثة التي تناولت تاريخ العمارة والفنون لمدينة القدس .

سادسا : الدراسة الميدانية للباحث في المكتبة البريطانية The British Library والمكتبة الوطنية الفرنسية Bibliotheque National de France في عام ٢٠٠٩ للبحث في المخطوطات الأوروبية المصورة التي صدرت في فترة العصور الوسطي الأوروبية والتي تناولت موضوعاتها لمعالم مدينة القدس .

أهداف البحث :

١ - تحديد الهوية المعمارية التاريخية لمدينة القدس عبر العصور التاريخية والمتغيرات التي حدثت في البنية المعمارية للمدينة .

٢ - توثيق المعالم التاريخية والطرز الفنية التي استخدمت في عمارة المدينة .

٣ - الاستفادة من المخطوطات المصورة الأوروبية التي صدرت في فترة العصور الوسطي والتي تزر بها المكتبات الأوروبية العلمية والتي تشكل قيمة هامة في التحقيق والدراسة والكشف عن حقائق تاريخية تتعلق بعمارة وفنون المدينة في فترة العصور الوسطي .

العناصر المعمارية لمدينة القدس في العصور الوسطى :

قام الباحث بدراسة وتحقيق ماورد في الكتب التاريخية للرحالة الأوروبيين والتي صدرت في فترة العصور الوسطى وكذلك الدراسات الغربية لمدينة القدس ومن أهمها الدراسات التي صدرت عن : (٢٩) The Palestine Exploration Fund (PEF) والذي تأسس في عام ١٨٦٥ م في بريطانيا حيث قام بتنفيذ العديد من المشروعات في مجال التنقيب والحفريات الأثرية وإعداد الدراسات التاريخية والوثائقية والتراجم لتاريخ مدينة القدس والتي قام بتأليفها الرحالة الأوروبيين في فترة العصور الوسطى , وتكاد تجمع كتب الرحالة الأوروبيين علي تشابه في وصف معالم المدينة من حيث ذكر المعالم المعمارية الرئيسية للمدينة دون ذكر تفاصيل محددة للطرز المعمارية المستخدمة في عمارة المدينة بل يكون الاختلاف واضحا عند ذكر الأسوار والأبراج والأبواب وسوف يتم عرض ذلك فيما يلي : (٧)

أولا : أسوار المدينة وأبراجها :

فقد ذكر Warren (٢٤) : " إن أسوار مدينة القدس قد تعرضت إلي دمار كبير في عام ٨٣٧ ق . م وفي عام ٧٧٠ ق . م تم بناء أسوار وأبراج جديدة كما تم في عام ٤٥٧ ق. م بناء أسوار وأبراج أخرى , وفي عام ١٤٣ ق . م تم بناء سور جديد آخر وفي عام ٥٥ ق. م تم إعادة بناء الأسوار مرة أخرى وفي عام ٤١ ق. م تم بناء السور الثالث للمدينة وفي عام ١١٧٨ م تم إصلاح الأسوار مرة أخرى , وقد تعرضت المدينة لعدة إصلاحات ولفترات مختلفة في تاريخها وفي أثناء الحكم الإسلامي والحكم الصليبي " كما يؤكد Bliss (٢) ذلك بقوله : " أنه يمكن إيجاز تاريخ أسوار المدينة ولفترة تقارب الخمسة وثلاثون قرنا منها عشرون مرة قد تعرضت للحصار ومرتين تم تدميرها بالكامل كما أن هناك العديد من البنائين المختلفين الذين تعاقبوا علي بناء المدينة وبطرق مختلفة , كما نجد آثار مختلفة قد تركها خلفهم من اليهود والرومان والمسيحيين الشرقيين والصليبيين والعرب وإن شكل المدينة يتخذ الشكل الدائري " وقد وصف Fabri المعالم العديدة لعمارة المدينة مثل المباني الدينية المختلفة والمنازل والأسواق وطوبوغرافية المدينة ومحيطها بكل عناية وتفصيل (٩) " وقد ذكر Poloner : " أن لمدينة القدس ٨٣ برجاً في عام ١٤٢١ م " ويختلف عنه Arculfus فيذكر (٢) : " أن المينة لها ٨٤ برجاً في عام ٦٧٠ م "

وتشير دراسة التنقيب والحفريات الأثرية لقلعة (٢٠) Apollonia - Arsuf القريبة من مدينة القدس بأنه قد تم الكشف عن بوابتين يعود تاريخهما إلي فترة

الحكم الصليبي في عام ١٢٦٥ م وتظهر الأبراج بشكل نصف دائري . شكل (١٥) يظهر الاختلاف واضحا عند دراسة المخطوطات الأوروبية التي صدرت في فترة العصور الوسطى حيث نجد إختلافا وتناقضا في شكل الأبراج لأسوار المدينة حيث تكون دائرية الشكل تارة او مستطيلة الشكل تارة أخرى كما نشاهد إستخدام الأسقف في بعض المخطوطات ولانشاهدها في البعض الآخر .

ثانيا : أبواب المدينة :

من خلال دراسة مؤلفات الرحالة الأوروبيين لوصف مدينة القدس في فترة العصور الوسطى ظهر إختلاف في ذكر عدد الأبواب دون تفسير لذلك الإختلاف لدي أولئك الرحالة الذين تعاقبوا علي زيارة المدينة ولفترات مختلفة ووصفهم لها , حيث ذكر Poloner : " أن للمدينة ثمانية أبواب وذلك في عام ١٤٢١ م " كما ذكر Arculfus : " ان للمدينة ستة أبواب وذلك في عام ٦٨٠ م " (٢١) وقد ذكر أيضا Tudela (١) في رحلته الي القدس: " بان للمدينة أربعة أبواب في عام ١١٧٣ " .

وينطبق وصف Theodosius مع وصف Arculfus حيث ذكر : " أن للمدينة ستة أبواب في عام ٥٣٠ م " . (٢) , (١) كما ذكر Wise : " ان للمدينة خمسة أبواب في عام ٨٧٠ م " (٢٦)

وهكذا فإنه لا يوجد وصف محدد ومستقر لعمارة المدينة إلا الإختلاف والتعارض في المصادر والمعلومات إلا ان الدراسات التي ظهرت في عام ١٨٨٦ م والتي قام بها Wilson : " فهي تؤكد أن للمدينة خمسة أبواب " . (٢٦)

ثالثا : الطرز المعمارية للمدينة :

إن معرفة الطرز المعمارية لمدينة القدس تشكل أهمية كبيرة ليس بغرض تحديد الهوية المعمارية للمدينة فحسب وإنما هو المعيار الأساسي الذي إستخدمه الباحث للتحقيق في المخطوطات المصورة الأوروبية التي صدرت في فترة العصور الوسطى وسوف نستعرض بعض مآثره المؤرخين والباحثين في تاريخ عمارة مدينة القدس فيما يلي :

- في الدراسة القيمة التي قدمها Margoliouth لتاريخ مدينة القدس حيث ذكر : " ان هناك عدة متغيرات حدثت للمباني الرئيسية للمدينة ومن أهمها المسجد الأقصى والأبراج وذلك في فترات الحكم الأيوبي والفاطمي والمملوكي وكذلم أثناء فترة الحكم الصليبي للمدينة , وان

الطرز المعمارية التي أستخدمت في عمارة المدينة تشمل الطراز الفينيقي لمعبد سليمان وكذلك الطراز الأغريقي والروماني والبيزنطي ثم ظهر طراز النورمان والطراز القوطي الذي قدم من أوروبا أثناء الحملة الصليبية وهي طرز مختلفة ومتنوعة مستوردة خلال فترات مختلفة " (١٧)

- ويذكر Grabar : " ان المؤثرات القوية للطراز الرومانسكي المتأخر واضحة بقوة في عمارة مدينة القدس وكذلك الطراز القوطي , وإن تأثير الفن الإسلامي أكبر بكثير من المؤثرات الغربية في عمارة المدينة , وأن الطراز المملوكي موجود بوضوح في العناصر المعمارية للمدينة ويدعو إلى أهمية دراسة المؤثرات المعمارية الطرازية لفترات الحكم التي تعرضت لها المدينة " . (١٥)
- وتعتبر دراسة Russell من الدراسات القيمة للمعالم المعمارية والفنية لمدينة القدس وتلقي الضوء علي معلومات وحقائق هامة فيذكر أنه تم استخدام الطراز الكورنثي في تيجان الأعمدة في بعض المباني الدينية مثل المسجد الأقصى " (٢٠) شكل (١٤)
- ويذكر Pringle : " أنه قرابة الخمسة قرون من الزمن إستغرق تطوير وتنمية الأعمال المعمارية لمدينة القدس وذلك في الفترة من عام ١٠٩٨ م إلي عام ١٥٧١ م حيث أستخدم الطراز الرومانسكي وطراز عصر النهضة في عمارة المدينة " . (٢١)
- كما يذكر Warren : " أنه قد تم استخدام الطراز القوطي لأجزاء من المسجد الأقصى في القرن ١٣ م حيث إزدهر هذا الطراز وتعدد استخدامه في عدة مباني مثل قبة الصخرة والكاتدرائية المقدسة , وقد أشار العديد من الكتاب علي وجود تلك المتغيرات التي حدثت لأسباب سياسية ودينية وحربية فقد تطلب القيام بأعمال توسعة وإضافات لبعض المباني نظرا للأعداد الكبيرة من الحجاج التي تقد غلي المدينة " . (٢٤)
- ويؤكد Grabar هذا التفسير حين ذكر : " أن المتغيرات الدينية التي تعرضت لها المدينة أثرت إلي حد كبير في أشكالها وأنماطها ومعالمها المعمارية " . (١٢)
- ويذكر Jacoby (٢٧) : " أن هناك العديد من الطبقات الإجتماعية المختلفة مثل التجار ورجال الدين قد ساهموا بدعم الأعمال المعمارية والفنية في المدينة من إنتاج الأعمال الفنية والمعمارية المشابهة لفنون العمارة في بلادهم مثل فينيسيا وجنوا وبيزا وبرشلونة وغيرها من المدن الأوروبية وبشكل خاص للعناصر الدينية مثل الكنائس والأديرة " .

ولقد إتضح بعد الدراسة أن الاختلاف والخلاف لا يتعلق فقط بالمعالم المعمارية لأسوار وأبراج وابواب المدينة أو طرزها المعمارية فحسب وإنما الاختلاف يحدث بين آراء ونظريات الكتاب الغربيين الذين تناولوا كتابة وتاريخ مدينة القدس وعلي وجه التحديد لتاريخ معالمها ومظاهرها المعمارية التاريخية ومحاولات بعضهم تفريغ محتوى تاريخ المدينة من المعالم العربية لعمارته ومن هؤلاء علي سبيل المثال Jaroslav Folda والذي يعتبر من أشهر الكتاب الغربيين الذين كرسوا جهودهم لدراسة تاريخ المدينة انفي والمعماري وذلك عندما أصدر مجلدين ضخمين يحتويان علي المئات من الوثائق والمخطوطات والصور المتعلقة بتاريخ المدينة المقدسة لكي يصل بنتائجه الي ما أطلق عليه :

الفن الصليبي - Crusader Art حيث يري : أن الأعمال الفنية والمعمارية التي أستخدمت في عمارة المدينة تعود إلي أصول أوروبية مثل الطرز التالية (١٠) :

- France - Byzantine Crusader Style. -
- Veneto - Byzantine Crusader Style. -
- Tuscan - Byzantine Crusader Style. -

إلا أن العديد من الكتاب والباحثين الغربيين قد عارضوا وانتقدوا آراء Folda ومبالغته في هذا المصطلح أو التعريف ومنهم الكاتب Oleg Grabar حيث يعتبر من أشد الكتاب الغربيين حماسة وإهتماما بتاريخ الفن الإسلامي فهو يعارض فكرة Folda بأن هناك شيء أسمه " الفن الصليبي " حيث يري Grabar : " أنه بالرغم من وجود مخلفات فنية صليبية في مدينة القدس وفي بعض المدن المحيطة بها إلا أن ذلك لا يعدو عن أشياء صغيرة لاتذكر عدا المؤثرات في العمارة الحربية كما أن هناك مؤثرات صليبية رمزية موجودة في امعالم المعمارية للمدينة وفي أماكن محدودة " (١٦) كذلك عارضت Corrie (٢٨) آراء Folda في هذا الشأن وذكرت : " أن Folda يريد أن يقتنع الآخرين بهذا التعريف باستخدام أدلة ليس لها ثقل تاريخي قوي " . وكذلك إنتقد Bork آراء Folda في هذا الشأن (٧)

المخطوطات المصورة في العصور الوسطى الأوروبية :

تشكل المخطوطات المصورة التي ظهرت في فترة العصور الوسطى الأوروبية والتي تناولت في موضوعاتها المعالم التاريخية والمعمارية لمدينة القدس مصدرا هاما كمادة موثقة بالصور والأشكال المختلفة للأحداث والوقائع وطبيعة محتوى مدينة القدس من المعالم المعمارية والفنية في تلك

الحقبة الزمنية . إلا أنه من خلال الدراسة لإعداد كبيرة من المخطوطات المصورة فقد تمخضت الدراسة لما يلي :

أولا : لايعتد بالمخطوطات المصورة كمصدر أساسي لمعرفة المعالم المعمارية لمدينة القدس ما لم تثبته علي الواقع اية أعمال أثرية يتم إكتشافها وبالتالي يصبح الحكم علي الوضع الذي تعرضه المخطوطات المصورة نظرا لإختلاف تلك المخطوطات في عرض المظاهر المعمارية التاريخية للمدينة باستخدام طرز معمارية مختلفة .

ثانيا : يتضح من خلال العديد من المخطوطات المصورة وجود إختلاف وتعارض في تصوير موضوع معين رغم تشابه موقع الحدث وتاريخه حيث نجد في مخطوطة وقد صورت المعالم المعمارية للمدينة تتخذ شكل الطراز البيزنطي وفي مخطوطة أخرى نجد استخدام الطراز القوطي أو الرومانسكي وعلي سبيل المثال فقد ظهر في بعض المخطوطات إستخدام الطراز القوطي في عمارة المدينة لأحداث تمت قبل ظهور الطراز القوطي في أوروبا . شكل - ٢ ، ٦ ، ٧

ثالثا : تشير Quigley و في دراستها التحليلية القيمة للمخطوطات المصورة والتي تحتوي علي أخطاء عديدة ومن أهمها تحديد موقع الحدث وإظهار معالم البيئة المحيطة أو عمارته في المخطوطة المصورة لإمكانية التعرف عليه وذلك فيما يتعلق في بعض الموضوعات التي تصور مدينة القدس في القرن الثالث عشر الميلادي حيث تذكر : " أنه قلة من الناس في أوروبا أدبها فكرة محددة عن مدينة القدس من حيث موقعها , وإنما معرفتهم لاتتعدى حدود أن المدينة تقع عبر البحر المتوسط حيث عاش بها السيد المسيح إلا أنه في القرن الرابع عشر الميلادي ولأجيال من التجار المسيحيين والحجاج ومن جنود الحملة الصليبية والذين قاموا بزيارة المدينة جعلوا المدينة معروفة في أوروبا " (١٩) كما تؤكد Gerson هذا الرأي (١١)

رابعا : ويذكر Osher : " أن العديد من الرسومات لمدينة القدس التي ظهرت في الخرائط المصورة في فترة العصور الوسطي قد تم رسمها من قبل أشخاص لم يقوموا بزيارة المدينة أبدا وأنهم قد إستقوا معلوماتهم عن المدينة من أطراف ومصادر أخرى مثل الأنجيل أو من تقارير الشهود من الرحالة أو من جرعة من الخيال والتصور , كما ظهرت أخطاء في وصف معالم معبد سليمان وبعض الأماكن الدينية " (١٨) الأشكال - ٨ , ٩ , ١٠

خامسا : كما يذكر Siew : " أن كثير من التصاوير في المخطوطات والخرائط المصورة لمدينة القدس في العصور الوسطى قد ظهر بها استخدام الطراز المعماري للقرن السادس عشر الميلادي والذي أستخدم في أوروبا , كما يؤكد رأي Osher : " بأن أغلب التصاوير التي قام بها فنانون وباحثون لم يقوموا بزيارة مدينة القدس قط " إلا أن Siew يستخلص نتيجة هامة لدراسته القيمة حيث ذكر : " أن التصاوير التي ظهرت في الخرائط المصورة أو المخطوطات المصورة في العصور الوسطى لاتعبر عن حقيقة معالم المدينة وإنما هي صور في قلوب وعقول القراء ورسامي الخرائط المصورة من المسيحيين الأوروبيين وهي تصاوير تحمل في طياتها المعاني الدينية والسياسية والثقافية " . (٢٢)

سادسا : كانت المخطوطات المصورة الأوروبية تمثل سجلا لأحداث تاريخية أو سياسة أو حربية أو دينية دون مراعاة لعرض حقيقة المعالم المعمارية أو تفاصيلها وإن ظهرت في بعضها فهي تكون خيالية أو مبالغ بها , وهذا ما أكده Weiss في تحليله ودراسته للمخطوطات المصورة حيث ذكر : " أن المخطوطات المصورة التي أنتجت في العصور الوسطى كانت تعبر وترمز لإنتصارات الملوك في المعارك وبشكل خاص في فرنسا وكان تركيز الموضوعات ومعالم الأشكال ينصب علي الجانب السياسي والجانب الحربي ومن خلال مظاهر الجنود في الحملات الصليبية التي ظهرت في المخطوطات " (٢٣)

سابعا : لم تكن المخطوطات المصورة الأوروبية معبرة عن حقيقة وواقع الطراز المعماري أو فترته التاريخية لمدينة القدس بل كان الرسام يستخدم الطراز السائد في عصره وهذا كان واضحا في أعمال الرسامين والفنانين من أمثال Jean Colombe والفنان Jean Foquet أو الفنان Bouguezardiere أو Simon Marmion . وهذا ما يؤكد Grabar . عندما ذكر : " بأن سلسلة التصاوير التي قام بها الفنان Carpaccio والتي كانت تتعامل مع صور القديس St. George أو الأعداد الكبيرة من الأعمال الفنية الفلمنكية لصلب المسيح جاءت بعد الزيارات التي قام بها الرحالة Breytenbach لمدينة القدس هي نوع من الوهم والخيال " Fantasy وهي تركز فقط علي الجوانب الدينية ومظاهرها المعمارية المحددة مثل كنيسة القيامة وقبة الصخرة والمعبد اليهودي كما تظهر أزياء الأشخاص بوضع مسرحي شرقي " (١٤) . الأشكال - ٣ , ٩ , ١١

النتائج والتوصيات :

- ١- إن أمر توثيق المعالم المعمارية والفنية التاريخية لمدينة القدس يعتبر بمثابة مشروع عربي إسلامي تاريخي يجب أن يساهم به العلماء العرب المختصين في هذا الشأن لكي يتم التمكن من حصر جميع المعلومات والوثائق المتعلقة بالتاريخ المعماري لمدينة القدس ومن المصادر الموثوقة من كتب التاريخ والمخطوطات المصورة والتقارير والدراسات الأثرية للمدينة .
- ٢- أهمية تأسيس مركز للدراسات التاريخية لمدينة القدس يهدف ويعمل علي توثيق المتعلقةات التاريخية المعمارية والفنية للمدينة وفي المجالات الثقافية والفكرية والتاريخية والأدبية والتراثية والأثرية والجغرافية ويكون لها أنشطتها الفاعلة للحفاظ علي المعالم التاريخية للمدينة والعمل علي توثيقها ونشرها .
- ٣- أهمية دعم المشروعات في مجال التنقيب والحفريات الأثرية للمدينة التي تعمل علي إكتشاف محتوياتها التاريخية المعمارية والفنية وتكون تحت إشراف جهة عربية متخصصة في هذا المجال ومشاركة أطراف أخرى محايدة .
- ٤- العمل علي تشجيع ودعم الدراسات والأبحاث العلمية والأكاديمية التي تعني بالموضوعات المتعلقة بالعمارة التاريخية والمخطوطات لمدينة القدس وأن تشرف عليها وترعاها منظمة الدن العربية أو منظمة المؤتمر الإسلامي , لأن الباحث قد وجد إهتمام كبير لدي الكتاب الغربيين في الدراسات الجادة والهامة للتاريخ المعماري لمدينة القدس ومنها علي سبيل المثال الدراسة التي صدرت في كتاب - France and the Holy Land كما تساهم مؤسسة Ashgate Publishing Ltd للنشر بإصدار العديد من الدراسات الأكاديمية المتميزة والتي تتناول تاريخ العصور الوسطي في المنطقة العربية مثل التاريخ الصليبي في منطقة الشرق الأوسط .
- ٥- أهمية تكثيف النشاط الإعلامي والثقافي دوليا من خلال إقامة المعارض الدولية الثقافية وعقد الندوات والمؤتمرات الدولية التي تتناول موضوع التاريخ المعماري لمدينة القدس لأن هناك جهود مكثفة من اليهود علي تواجدهم في العديد من المحافل الدولية وينشطون بكل همة للتعريف بتراث المدينة التي يريدون أن ينسبوا محتواها لتراثهم وتاريخهم .
- ٦- إصدار مجلة علمية بعدة لغات عالمية تهتم بالتاريخ المعماري والفني لمدينة القدس .

٧- أهمية تعريف تاريخ مدينة القدس وبشكل موسع في مناهج التعليم العربي .

خاتمة :

إن دراسة المخطوطات المصورة الأوروبية في العصور الوسطى تتطلب التحقيق والبحث المكثف وذلك يفوق قدرة أي باحث والأمر يتطلب تضافر جهود عديدة من الباحثين المتفرغين والمتخصصين لهذا الموضوع الحيوي الذي يمس تاريخ وتراث مدينة مقدسة وعريقة القدم في التاريخ الإنساني عبر العصور .

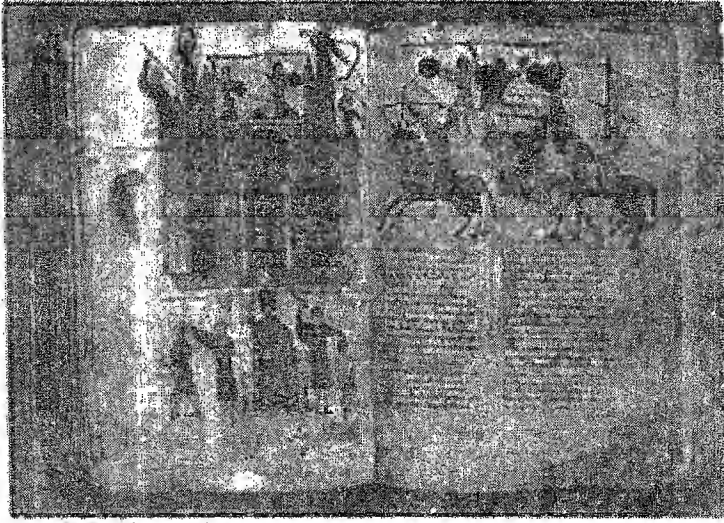
ولاشك إن المعلومات ونتائج الاكتشافات الأثرية الحديثة في مدينة القدس سوف تلقي الضوء علي معارف ومعالم واضحة عن الهوية المعمارية التاريخية لمدينة القدس والتي ظلت غامضة وغير واضحة من خلال المصادر الأوروبية في العصور الوسطى .

الدراسة التحليلية للمخطوطات المصورة الأوروبية في العصور الوسطى :

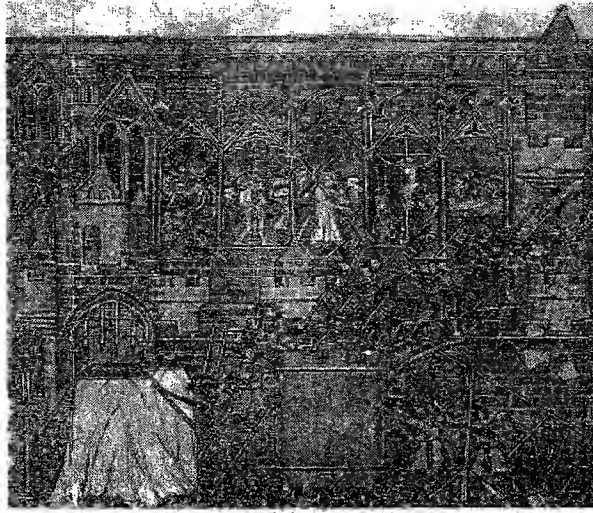


شكل (١) : المخطوطة رقم : Ms.ID: Royal 1E.1x fol.222
تصور المخطوطة موضوع مدينة حصار مدينة القدس علي يد القائد نبوخذ نصر وقد رسمت في الفترة من عام ١٤٠٥ م - ١٤١٥ م ويظهر في الشكل استخدام الطراز القوطي وذلك في الأسقف المخروطية لأبراج اسوار المدينة كما استخدمت العوارض الخشبية التي تتخذ شكل (x) علي جدران المنازل وهو الطراز الريفى الأوروبى الذي يستخدم بكثرة في المنازل الريفية وبشكل خاص في وسط وشمال أوروبا كما نلاحظ عدم وجود المباني الدينية الرئيسية في المدينة مثل قبة الصخرة أو المسجد الأقصى كما نلاحظ الزي الحربي للجنود يختلف عن الزي البابلي فهو زي أوروبى , وقد حدث الحصار في

عام ٥٨٧ ق.م ولم يكن الطراز المعماري الذي استخدم في المخطوطة هو الطراز الحقيقي لعمارة المدينة في تلك الفترة ولذلك فإن الوقائع المعمارية لاتتطابق زمن الحدث . (٣٤)

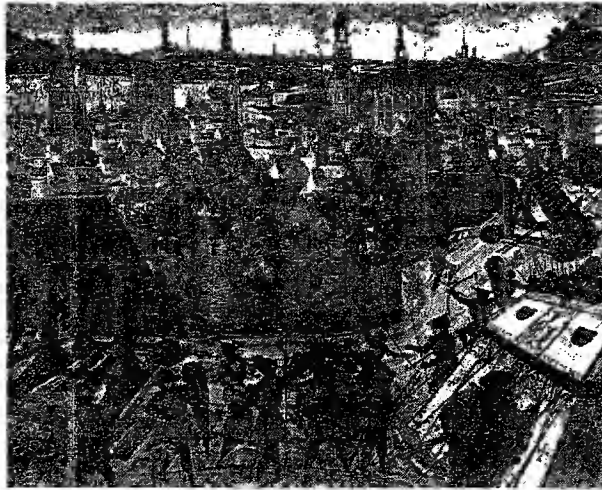


شكل (٢) : المخطوطة رقم : Ms.Fol.208 & 209
تصور المخطوطة حصار نبوخذ نصر لمدينة القدس في عام ٥٨٧ ق.م والنسخة الأصلية رسمها الراهب الأسباني Bietus of Liebana
رسمت في القرن العاشر الميلادي ويتضح من الشكل استخدام الطراز
الأندلسي في شكل عقد (حدوة الحصان) وهذا الطراز لم يستخدم في عمارة
مدينة القدس في زمن حصار المدينة ولا في زمن آخر , وبالقارنة مع الشكل
السابق تتضح المفارقات الكبيرة في المخطوطات المصورة . (٣٥)



شكل (٣) : المخطوطة رقم : Ms.Den Haag , MWW,10B21
152v

تصور المخطوطة حصار مدينة القدس في عام ١٠٩٩ م وقد رسمت في القرن ١٣ م ويظهر بوضوح إستخدام الطراز القوطي في المعالم المعمارية للمدينة وهو الطراز الذي لم يكن قد ظهر في الفترة التي حدث فيها الحصار حيث ظهر الطراز القوطي في أوروبا في القرن الثاني عشر الميلادي . (٣٦)



شكل (٤) : المخطوطة رقم : Ms.1099

تصور المخطوطة حصار مدينة القدس في عام ١٠٩٩ م علي يد الصليبيين وقد رسمت في القرن الثالث عشر الميلادي وتعتبر هذه المخطوطة النادرة التي توضح المعالم المعمارية للمدينة كما وصفها الرحالة الأوروبيين في العصور الوسطي وبشكل خاص في شكل الأبراج رغم أن الأبراج ذات الأسقف لا تستخدم إلا في أبراج القلاع الأوروبية وبشكل خاص في مناطق وسط أوروبا وعلي وجه التحديد في فرنسا كما يظهر في المخطوطة استخدام الطراز القوطي والذي لم يكن قد ظهر في تلك الفترة ونلاحظ اسطح المنازل ذات الإنحدار الحاد وهذا أيضا من الطرز الأوروبية وهي لا تستخدم في مناطق الشرق الأوسط. (٢٧)

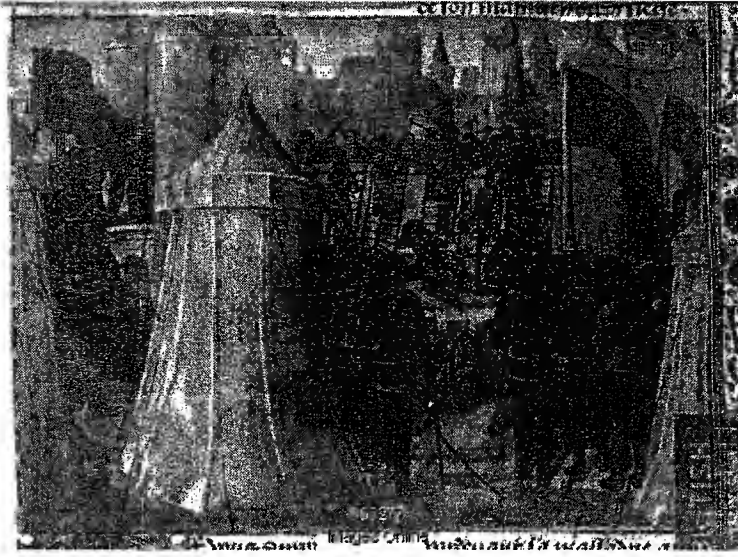


شكل (٥) :

المخطوطة تصور حصار ودخول القائد صلاح الدين الأيوبي لمدينة القدس في عام ١١٨٧ م وقد رسمت المخطوطة في القرن ١٥ م ونلاحظ وجود الطراز الرومانيسكي في عمارة المدينة وإن نوع الأحجار المستخدمة في بناء أسوار المدينة هو نوع من الأحجار التي تستخدم في أوروبا ويطلق عليه Limestone وهذا النوع لم يستخدم ولا يتوفر في منطقة الشرق كذلك شكل الأبراج المسقوفة وطراز المنازل الأوروبية والفتحات في أسوار المدينة هي من العناصر المميزة للعمارة لأوروبية ولم تظهر في عمارة مدينة القدس. (٢٨)



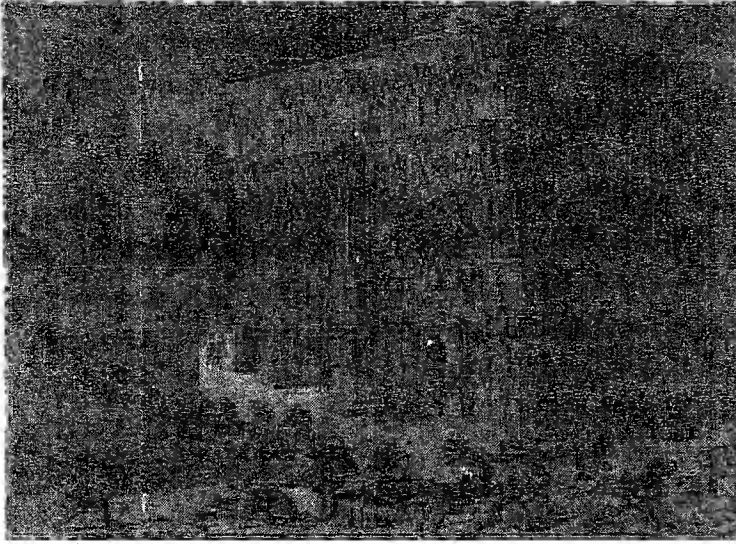
شكل (٦) : المخطوطة رقم : Ms.Royal 1sE.I.F.438
وهي تصور القائد صلاح الدين الأيوبي في حصاره لمدينة القدس في عام ١١٨٧ م وقد أنتجت المخطوطة في مدينة Bruges الهولندية في آخر القرن ١٥ م ومأخوذة من مخطوطات الرسام Ernoul ; Bernard treasure of Corbie ويمكن الملاحظة ببساطة أن عمارة المدينة هي نموذج لعمارة المدن الأوروبية من حيث أسطح المنازل والأبراج كما نلاحظ وجود المدافع والتي لم يتم إختراعها في عام ١١٨٧ م ولكن تم إختراعها في عام ١٣٥٠ م وبالتالي فإن المخطوطة لاتعبر عن حقيقة وواقع المعالم المعمارية للمدينة.^(٣٩)



شكل (٧) : المخطوطة رقم : Ms.15.E.I.f.280v (٤٠)
 وهي تصور حصار الصليبيين لمدينة دمشق في عام ١١٤٨ م وهي مدينة
 قريبة من مدينة القدس حيث تنتشر الجيوش الصليبية في بلاد الشام في تلك
 الفترة والمخطوطة من إنتاج رسام المخطوطة السابق ذكرها في شكل (٦)
 حيث نلاحظ وبكل بساطة أيضا أنه لا يوجد فرق في معالم مدينة دمشق
 ومدينة القدس في الشكل السابق سوى الأسم وتغيير بسيط في حركة الجنود
 وأزياء بعضهم وكذلك استخدام المدافع التي لم تختراع بعد في زمن الحصار .



شكل (٨) : المخطوطة رقم : Fr.Ms.2629, folio 17
وتصور المخطوطة موضوع معبد سليمان الذي بناه في القرن العاشر قبل
الميلاد على جبل موريا في مدينة القدس ثم تم تدميره على يد نبوخذ نصر في
عام ٥٨٧ ق.م ومن ثم تم بناؤه ثلاثة مرات والمخطوطة من عمل الرسام
Maitre de L'Echevinage رسمها في القرن ١٥ م فتضح من شكل
المعبد الذي يتخذ الطراز الروماني في عمارته وهو الطراز الذي عاصره
هذا الفنان وليس طراز المعبد الحقيقي في القرن العاشر قبل الميلاد . (٤١)

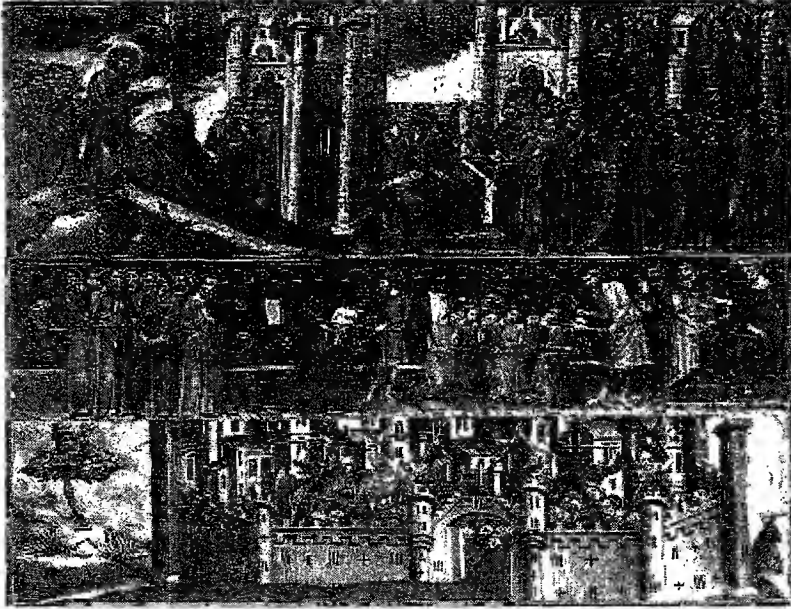


شكل (٩) : المخطوطة رقم : Fr.Ms.247 fol.163
وهي من عمل الرسام Jean Fouquet في عام ١٤٧٦ م وتصور معبد
سليمان حيث تتخذ عمارته الطراز القوطي الخالص وعلى هيئة إحدى
الكاتدرائيات التي إنتشرت وازدهرت في أوروبا مع ظهور الطراز القوطي
في القرن الثاني عشر الميلادي وإن المعبد الثالث قد تم بناؤه في القرن الأول
الميلادي حيث لم يكن الطراز القوطي قد ظهر بعد . (٤٢)



شكل (١٠) : المخطوطة رقم : Ms.folio 173v

تصور المخطوطة دخول السيد المسيح إلى مدينة القدس والتي تظهر معالمها كأحدي المدن الأوروبية في القرن السابع عشر الميلادي حيث نري إستخدام الطراز الرومانيسكي بكثافة في عمارة المدينة وهذا الأسلوب الذي يتبعه ويستخدمه هذا الفنان في جميع المخطوطات التي رسمها ومن أشهرها وأهمها كتاب Book of Hours والتي رسمها في القرن ١٥ م , إن موت السيد المسيح كان في أواخر عام ٢٦ م حيث لم يظهر الطراز الرومانيسكي ولم يستخدم في عمارة المدينة في تلك الفترة . (٤٣)

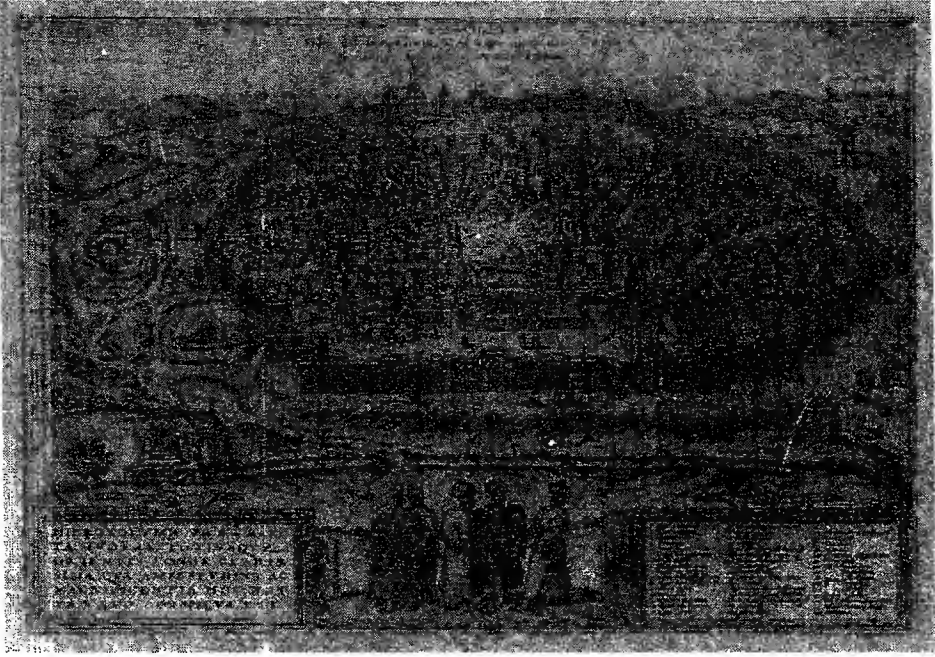


شكل (١١) : المخطوطة رقم : Ms.F141r,psalm 78 Anglo Catalan Psalter

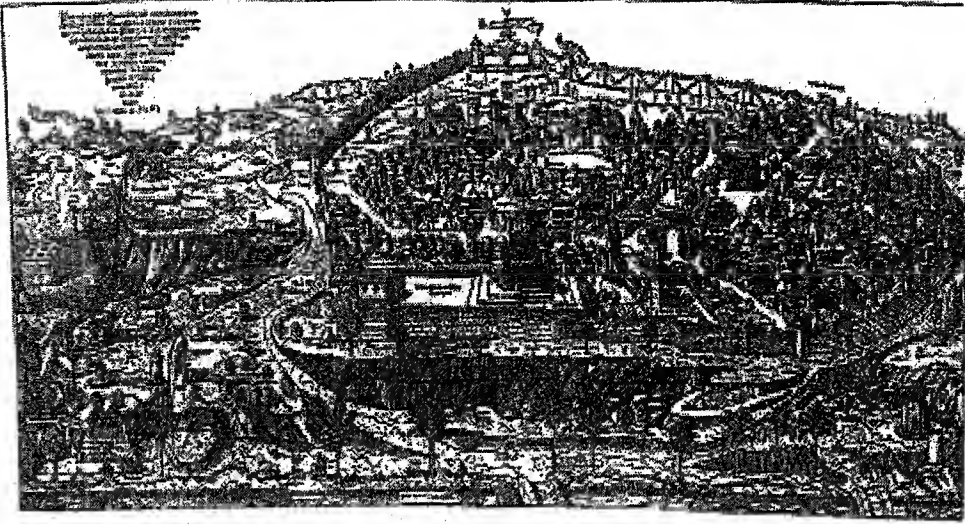
تصور هذه المخطوطة أيضا موضوع دخول السيد المسيح الي مدينة القدس , ويعود تاريخ المخطوطة إلي فترتين مختلفتين في عام ١٢٠٠ م في إنجلترا وفي عام ١٣٤٠ في أسبانيا وقام بعملها رسام أسباني وتحمل المخطوطة إسم The Great Canterbury Psalter : ومحفوظة في المكتبة الوطنية الفرنسية في باريس وتعتبر من المخطوطات النادرة والمتميزة في التقنية الفنية المستخدمة في إنتاجها , ويظهر بوضوح معالم الطراز القوطي وبعض العناصر المعمارية للطراز الرومانيسكي في أسوار المدينة , وتكرر ذات الأخطاء التي ظهرت في المخطوطات السابقة من حيث عدم وجود أو ظهور

الطراز القوطي في مدينة القدس في الفترة التي دخل بها السيد المسيح الى المدينة^(٤٤).

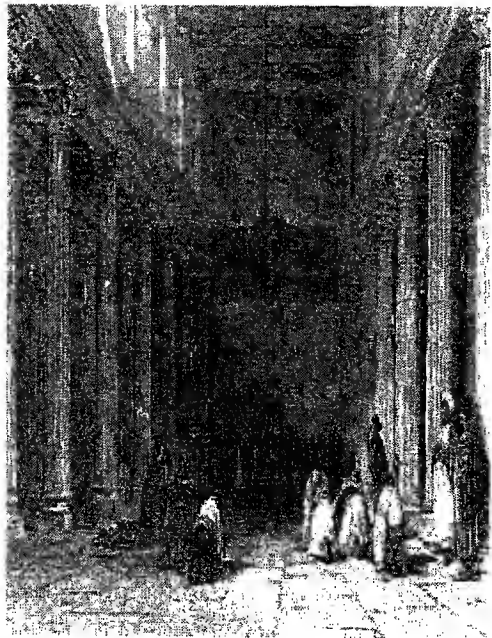
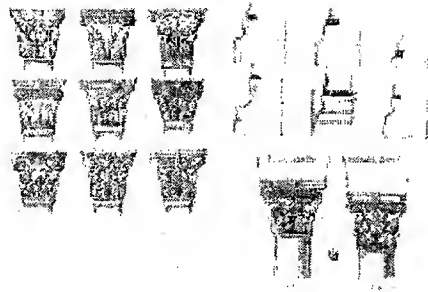
تتويها : في محاولة من الباحث للحصول علي وثيقة مصورة تاريخية تحدد أو تظر معالم مدينة القدس المعمارية في العصور الوسطي لجأ الي البحث والإستعانة بالخرائط المصورة الأوروبية والتي ظهرت في فترة العصور الوسطي وتصور مدينة القدس حيث وجد خريطتين في الشكل (١٢) والشكل (١٣) .



شكل (١٢) : توضيح الخريطة المصورة Hogenberg
Franz, d.ca.1590 التي صدرت في أمستردام في عام ١٥٩٠ م تفاصيل
عديدة للمعالم المعمارية للمدينة ومواقع المباني الدينية الرئيسية إلا أنه يلاحظ
وجود إختلاف في شكل أبراج أسوار المدينة والتي تتخذ الشكل المربع علي
خلاف ما كشفت عنه الحفريات الأثرية في قلعة أرسوف حيث كانت تستخدم
الأبراج النصف دائرية لأسوار المدن المحيطة بمدينة القدس أثناء الحكم
الصليبي ويستدل من ذلك انه قد حدثت متغيرات جذرية في أشكال الأبراج
في فترات سابقة من تاريخ المدينة كما يمكن ملاحظة تنوع وتعدد الطرز
المعمارية المستخدمة وهي الطراز البيزنطي والطراز الرومانيسكي . (٤٥)



شكل (١٣) : الخريطة المصورة Ulrich Prefat map
يعود تاريخ هذه الخريطة المصورة إلي عام ١٥٧٨ م وقد قام برسمها
Ulrich Prefat وهي مشابهة للخريطة المصورة في شكل (١٢) .^(٦)



شکل a-

شكل-b



شكل-d

شكل-c

شكل (١٤) : نماذج للعناصر المعمارية التي تم العثور عليها في أماكن مختلفة في مدينة القدس من خلال الدراسات والأعمال الأثرية في المدينة وهي تمثل تيجان وقواعد للأعمدة للطراز الكورنثي الذي أستخدم في عمارة

المدينة عبر العصور القديمة شكل - a. (٢٠) كما توضح رسومات الفنان Robert David بعض المعالم المعمارية الداخلية للمباني الدينية في المدينة ونلاحظ إستخدام الطراز البيزنطي والكورنثي الأشكال b - c - d. (٤٧)



Bibliography:

1. Adler Nathan Marcus
The Itinerary of Benjamin of Tudela , 1173 C.E
Published by: Oxford University Press, 1907, Britain, P.25
2. Arculfus
The Pilgrimage of Arculfus in the Holy Land
Published by: The Committee of the Palestine Exploration Fund,
London, Britain
1887, pp. 3, 5
3. Bliss Jones Frederick
Excavations at Jerusalem – 1894 – 1897
Published by: The Committee of the Palestine Exploration Fund
London, Britain, 1898, pp.285, 307, 312
4. Billing Malcolm
The Crusades
Published by: Tempus Publishing Ltd, UK 2000, pp.7, 8, 46
5. Boas, J .Adrian
Jerusalem in the Time of Crusades
Published by: Rothledge , NY, USA , 2001, pp.201 , 202 , 203
6. Bork Robert & Kann Andrea
The Art Science and Technology of Medieval Travel
Published by: Ashgate Publishing, UK, 2008, pp. 6, 7
7. Breydenbach von Bernhard
Breydenbach and his Journey to the Holy Land 1483 – 4
Published by: J & J. Leighton, London, Britain, 1912, pp.22
8. Edbury W. Peter
The Conquest of Jerusalem and the Third Crusade
Published by: Ashgate Publishing, UK, 2008, p.25
9. Fabri Felix
The Wanderings of Felix Fabri ,vol – 11 (part 1)
Published by: Committee of the Palestine Exploration Fund, London,
Britain 1897,
pp.33, 42
10. Folda Jaroslav
Crusader Art in The Holy Land from the Third Crusade to the fall of
Acre –
1187 – 1291.Published by: Cambridge University Press, USA, 2005,
p.49

11. Gerson Paula
Art and Pilgrimage, Published by: Ashgate Publishing, UK, 1999,
pp.5, 7
12. Grabar Oleg
Constructing the Study of Islamic Art
Published by: Ashgate Publishing, UK, 2005, pp.117, 118, 127, 173
13. Grabar Oleg
The Crusades and the Development of Islamic Art
Published by: Ashgate Publishing, UK, 2006, pp.366, 369
14. Grabar Oleg
Jerusalem Elsewhere, Published by: Ashgate Publishing, UK, 2006,
p.175
15. Grabar Oleg
The Shape of the Holy Land: Early Islamic Jerusalem
Published by: Princeton University Press, USA, 1996, p.115
16. Laiou E. Angelik & Mottahedeh Parviz Roy
The Crusades from the Perspective of Byzantium and the Muslim
World
Published by: Dumbarton Oaks Research Library and Collection
Washington, D.C, USA, 2001, pp.238, 239
17. Margoliouth. D.S
Cairo, Jerusalem and Damascus
Published by: Chatto & Winds, London, Britain, 1907, p.175
18. Osher. L. Harold
Jerusalem 3000: Three Millennia of History
Published by: University of Southern of Maine, USA, 1996, p.5
19. Quigley Maureen
Romantic Geography and the Crusades – Peregrinations Journal of
Medieval
Art & Architecture . Vol, 2, issue 3, 2009
Published by: The International Society for the Study of Pilgrimage
Art
USA, 2009, pp. 53, 54, 55
20. Russell Michael
Palestine or the Holy Land
Published by: Harper & Bros, New York, USA, 1839, pp.87, 88
21. Theodosius
Palestine Pilgrims Text Society, Published by: The Committee of
the Palestine

- Exploration Fund, London, Britain, 189, pp.7, 8
22. Smith. Jonathan. Riley
The Oxford Illustrated History of the Crusades
Published by: Oxford University Press, New York, USA, 1995,
pp.141, 160
23. Weiss. Daniel & Mahoney Lisa .J
France and the Holy Land
Published by: John Hopkins University Press, USA, 2004, pp.97,
153,161
Published by: The Hebrew University of Jerusalem, pp.17, 18, 42,
44
24. Warren Charles Col.Sir & Conder Reignier Claude.Capt.
The Survey of Western Palestine.Jerusalem,Published by : The
Committee of the
Palestine Exploration Fund, London, Britain, 1884, pp.1-44
25. Wilson W.Charles . Capt.
Ordinance Survey of Jerusalem 1886
Published by: Authority of the Lords Commissioners of Her Majesty
London, Britain, 1886, pp.5, 8
26. Wilson.W. Charles.Capt
The Itinerary of Bernard the Wise (A.D.870)
Published by: The Committee of the Palestine Exploration Fund
London, Britain, 1893, pp.7, 12, 13
27. <http://www.reference-global.com/doi/abs/10.1515/BYZS.2008.845>
28. www.reference-global.com/na/101/home/literatum/publisher/wdg/journals/prod
29. www.pef.org.uk/pages/intro.htm
30.
http://www.tau.ac.il/humanities/archaeology/projects/proj_apollonia.htm
31. www.ef.huji.ac.il/publications/siev.pdf
32. <http://en.wikipedia.org/cannon>
33. http://en.wikipedia.org/wiki/History_of_cannon

References of Figures:

34. www.bl.uk
35. Miuseu Diocesa d'Urgell, Spain
36. <http://collectives.meermann.nl/handschriften/showill?id=5857>
37. <http://www.unf.edu/classes/crusades/image/1099jerusalem.jpg>

38. Bibliotheque de l'Arsenal , Paris, France.
39. www.bl.uk
40. www.bl.uk
41. Bibliotheque National de France, Paris.
42. Bibliotheque National de France, Paris.
43. Musee Conde Chantilly, France, Paris.
44. Bibliotheque National de France, Paris.
45. "Jerusalem in Braun and Hogenberg's Civitates"
The Cartography Journal, 32 , 2 (1996), pp.119-129.
46. http://www.maplist.nl/ill/laa_tst.html
47. www.Antique-prints.de
48. www.greatbuildings.com/buldings/Solomon_Temple.html
49. http://en.wikipedia.org/wiki/chronology_of_jesus